

الدلالات الهامشية بين الدراسات التراثية و علم اللغة الحديث

محمد هادي مرادي،^١ سيدة فاطمة سليمي^٢

تاريخ الوصول: ١٤٣٣/١٢/٧

تاريخ القبول: ١٤٣٤/٥/٦

أثبتت الدراسات الدلالية أن الألفاظ تبدأ بالمعاني العرفية الوضعية، هدفها مجرد عملية التعليم أو الإبلاغ ثم مرّت عليها التطورات الدلالية لتكتسب الشحنات العاطفية الطافحة على محيالات فردية تحقق بها الوظيفة التأثيرية أو البلاغية. إن الدلالات-إذا افترضناها في بنية دائرية- تتشكل من مجموعة الدوائر المتحدة المركز و المختلفة الحدود فمما يتكوّن منها أولاً يعتبر دلالات مركزية ثابتة تنتج في مقام الوضع وماتشكل هالة محيطة بالمعنى المركزي من ظلال معنوية، تسمى دلالات هامشية من نتاج القيم التعبيرية و السياقية في مقام التخاطب. و أما الدلالات الهامشية فليست مفهوما مستحدثا بل وردت في الحقول التراثية الفقهية و الأصولية و خاصة البلاغية بتسميات مختلفة كـ "معنى المعنى" أو "المعاني الثواني" أو "التابعة" أو "الضمنية" و هذه كلّها مرادفة لمصطلحات حديثة نحو "الهامشية" أو "الإيجائية" أو "الانعكاسية" أو "الحافة" و ما يهمننا في هذا المقال هو تقديم نماذج نظرية ما يؤيد أقوال الفريقين مركزاً مسار البحث على عدة محاور من تحديد مصطلحاتها و تعاريفها و أنواعها ضمن الدراسات الدلالية قديماً و حديثاً ثم المقارنة و التحليل لإصدار النتائج. تجدر الإشارة إلى أن الاختلاف في الرؤى النظرية، هو اختلاف تنوع لا تضاد يقوم على التزايد في تبويب الدلالات و تعدد المصطلحات بحسب المناهج الفكرية المختلفة فحسب ولكن كلّها تشترك في الميزات الأساسية للدلالات الهامشية كصلتها بالعناصر العاطفية و تبلورها ضمن السياقات المقالية و المقامية في مقام تخاطبي و أدائها بالوظيفة التأثيرية و أما المنهج المتبع في هذا المقال فهو المنهج الوصفي- التحليلي مستعيناً بالكتب و المقالات العلمية.

الكلمات الرئيسية: الدلالة الحافة، العاطفة، الإيجاء، الاستدعاء، القرائن السياقية.

hadim29@gmail.com

Fatemeh_salimi625@yahoo.com

١. أستاذ مساعد في اللغة العربية و آدابها بجامعة العلامة الطباطبائي.

٢. طالبة الدكتوراه في اللغة العربية و آدابها بجامعة العلامة الطباطبائي.

المقدمة

يتطور المجتمع البشري تبعاً للحاجات الاجتماعية و الرقيّ الفكري و الحضاري؛ فاللغة كـ "الكائن الحيّ" فيها رحابة واسعة و نشاط دائم لا تلزم فيها الألفاظ، دلالات ثابتة بل مرّت عليها التطورات الدلالية^١ خضوعاً لقانون المجتمع. (أنيس، ١٩٨٤، ١٠٦).

و لا تكتفي البنية اللغوية بمجرد تتابع الأصوات و الرموز اللغوية في نسق الجملة، بل لا بد أن تكون هذه الرموز حاملة للمعنى، فمادام الإنسان يطمح إلى تحسين علاقاته مع الذات و العالم من حوله، سيبقى في حاجة ماسّة إلى المعنى ليضيء له طريق الحياة و يوفّر له أسباب التعايش و التفاهم؛ حيث نرى أن كثيراً من الصراعات عبر التاريخ البشري إنّما تعود إلى قصور في فهم المعاني التي تدور حول الكلمات و الأفعال و الأشياء. (زاهدي، ٢٠١٠، ١ و ٢) و هكذا يستشف لنا أنّ المعنى هو الممثل الحقيقي للوظيفة اللغوية أي أنّ اللغة كي تتمّ وظيفتها التواصلية، يجب على منظوقاتها اللغوية أن تنقل معنى أو رسالة. (جبل، ١٩٩٧، ١٩٢)

إنّ نظام اللغة نظام مفتوح دوماً على التطور و التجديد في بنياته المعجمية و السياقية فكثيراً ما نرى الألفاظ اللغوية، «وعاء فضفاضاً» (عبدالرحيم، ١٤٠٩، ١٦٢ و ١٦٣) يزخر بالاستدعاءات النفسية و الإيماءات الذاتية و القيم التعبيرية إضافة على دلالتها المركزية. إذا افترضنا الدلالات في "بنية دائرية" فهي تتشكل من "مجموعة الدوائر المتحدة المركز و المختلفة الحدود"؛ فما يتكوّن منها أولاً، يعدّ "دلالات مركزية" ثابتة تنتج عن الاتفاق الجماعي في مقام الوضع^٢ و ما تشكل هالة محيطية بالمعنى المركزي من ظلال

معنوية متغيّرة تسمى "الدلالات الهامشية" و هي دلالات نسبية من نتاج الاستدعاءات النفسية و القيم السياقية المقالية و المقامية في مقام التخاطب^٣. (يونس علي، ٢٠٠٧، ٨ و ٩)

هذا البحث يحاول تبين الدلالات الهامشية بين الدراسات التراثية و علم اللغة الحديث و الكشف عن تسمياتها المختلفة و ميزات الهامة ثم التحليل و المقارنة بين ما عند القدم و الحديث لإصدار النتائج. و قد انتهجنا فيه المنهج الوصفي-التحليلي مستعينين بمصادر اللغة و البلاغة و النقد.

و أسئلة البحث:

- ما هي مصطلحات الدلالات الهامشية عند التراث؟
- ما هي تسميات الدلالات الهامشية عند الألسنية المعاصرة؟
- ما هو موقف الدلالة الهامشية بين التقسيمات العامة و الخاصة؟
- و أخيراً ما هي صلة الدلالات الهامشية بقضية السياق؟

خلفية البحث

لقد جرت الدراسات القديمة و الحديثة حول التقسيمات الدلالية و أنواعها و مصطلحاتها المتنوعة في بحوث مفصلة أو مجملية، ولكن حظيت الدلالات الهامشية بمصطلحها الحديث بدراسات قليلة، من أهمها كتاب "دلالة الألفاظ" لإبراهيم أنيس و "المعنى و ظلال المعنى" لمحمد محمد يونس-علي و تناول هذان الكتابان، الدلالات المركزية و الهامشية في فصل مستقل ولكن لم يشيرا إلى تعدد مصطلحاتها أو تداخل بعض الدلالات في الدلالات الهامشية بدراسة

1. Semantic change

2. Convention

3. Pragmatic

تدور حول الدالتين المركزية و الهامشية: «إعلم أنّ الأصل في المعنى أنّ يحمل على ظاهره لفظه، و من يذهب إلى التأويل يفتقر إلى دليل كقوله تعالى: [ثيابك فطهر] فالظاهر من لفظ الثياب هو ما يلبس و من تأول ذهب إلى أنّ المراد هو القلب لا الملبوس، و هذا لا بد له من دليل، لأنه عدول عن ظاهر اللفظ». (الموصلي، ١٩٣٩، ٤٩ و ٥٠) يرى ابن الأثير أنّه لا خلاف في المعنى المحمول على الظاهر و أما المعنى المعدول عن الظاهر فيقع في إطار التأويل و يواجه الخلاف إذ أنّ باب التأويل ليس بمحدود و المفسرون ليسوا متفقين على هذا الوجه.

و في العصر الحديث وردت الدلالة في تقسيمها العام بمصطلحين جديدين هما: "المركزية" و "الهامشية" ^٢ أو غير الانفعالية و الانفعالية أو المنطقية و النفسية على الترتيب. فنبذة القول أنّ هذا المنهج العام يستلزم تشقيق المعنى إلى قسمين، أي إلى ما يسمى بالمعاني الأصلية أو الحقيقية أو المركزية و... من جهة و إلى ما يسمى بالمعاني التبعية أو مايعادها من جهة أخرى.

تقسيم الدلالة بشكل خاص

اختلف الباحثون في تويب المعاني بملاحظتهم الخاصة كما قسّمه أحمد مختار عمر إلى خمس حالات و هي: (عمر، ١٩٩٨، ٣٦-٣٩)

١. المعنى الأساسي^٣: و هو المستنبط من المواضع اللغوية المعجمية و القواعدية في مقام الوضع؛ أي لكل كلمة في الصيغة الإفرازية، معنى مركزي يتوضع عليه حاملو اللسان نحو: امرأة= إنسان+أثني+بالغ.

منظمة. لذا نسعى من وراء هذا المقال إلى تناول مصطلحات الدلالات الهامشية بأكملها و الاستناد بأقوال المتقدمين و المعاصرين حول هذه الدلالة و تحليل الآراء ضمن بيان وجهات النظر الشخصية للرفض أو القبول لبعض أقوال الباحثين.

الدلالات الهامشية على ضوء التقسيمات الدلالية العامة

إنّ علماء الدلالة قسموا المعنى إلى أقسام مختلفة تداخل بعضها في البعض الآخر، فبينهم من لاحظوا في تويب المعنى ملاحظة عامة، و منهم من قسموه بشكل خاص؛ حيث ينقسم المعنى في تقسيمه العام إلى قسمين؛ ويشير "الشاطي" - من بين علماء التراث- إلى هذا التقسيم باختبار مصطلحي الدلالة الأصلية و التابعة كما يقول: «للكلام من حيث دلالاته على المعنى اعتباران من حيث دلالاته على المعنى الأصلي و من حيث دلالاته على المعنى التبعية الذي هو خادم للأصلي» (الشاطي، ٢٠٠٣، ١٠٥ و ١٥١) و قدأورد "ابن القيم" هذا التقسيم بمصطلحين آخرين قائلًا: «دلالة النصوص نوعان: حقيقية و إضافية و الدلالة الحقيقية تابعة لقصد المتكلم و إرادته و أما الدلالة الإضافية فضابطها أنّها تابعة لفهم السامع و إدراكه و جودة فكره و قريحته و صفاء ذهنه و معرفته بالألفاظ و مراتبها». (الجوزية، ١٩٥٥، ١١٦)؛ يلتقي هذا الوصف الذي أطلقه ابن القيم على الدلالات التابعة مع ما ذهب إليه اللغويون المحدثون في وصفهم عن مصطلح الدلالة الهامشية كما يطابق هذا القول مع كلام إبراهيم أنيس في التعريف عن الدلالة الهامشية حيث يعرفها في كلامه بالاستنباطات الشخصية عبر الأمزجة الفردية و الخبرات الذاتية.

و من يتصفح كتاب "ابن الأثير" يجد فيها موضوعاً سمّاه "في الحكم على المعاني" يبين فيه أنواع الدلالة حيث

1. Central meaning
2. Peripheral meaning
3. Essential meaning

الدلالية عند أحمد مختار تبين لنا نوعاً من التزايد في توبيع المعاني و تداخل بعضها في بعض، فنلاحظ أنّ التقسيمات الخمسة السابقة لا تدور إلا حول محورين حيث لا تتجاوز التعاريف عن الميزتين الفردية و الجماعية، فنرى أنّ الاتفاقات الجماعية في التعبير تنحصر في النوع الأول من تقسيمه، و هو المعنى الأساسي الذي يطلق عليه الدلالة المركزية بثبوته في الاستعمال، و أما المعنى الإضافي في تقسيماته فيقرب من المعنى الهامشي بفرديته في التعبير، و أما التقسيمات الثلاثة الأخيرة فتدرج تارة تحت الدلالات المركزية باتخاذ الدلالات العامة العرفية أو تتجاوز كثيراً إلى ساحة الدلالات الهامشية ببقائه على التعابير الفردية في التأويل و انتقاء الألفاظ ذات الإيحاءات الخاصة.

أما حفري ليج فأجمل المعنى في تسعة أنواع و هي:

١. المعنى الصريح

٢. المعنى الضمني

٣. المعنى الأسلوبي

٤. المعنى الانعكاسي: وهو مصطلح حديث تداوله

الأصوليون باسم «دلالة المخالفة» و هي دلالة غير منطوقة من اللفظ، و يسمّى انعكاسياً إذ أنّه يأتي نقیض حکم المنطوق به و يحدث هذا الأمر في الألفاظ متعددة المعنى التي يأتي بعض المعاني مخالفة للمعاني الأخرى في سياقات معينة، كما تستعمل «صباح الخير» تحية للصباح و هي «دلالة الموافقة» و أما إذا قالها المدير لموظّف متأخر عن العمل فهي "دلالة المخالفة" إذ إنّها

٢. المعنى الإضافي: و هو معنى زائد يستنتج عبر التفاعل بين متطلبات المواضع اللغوية و مقتضيات السياقات المقالية و المقامية في مقام التخاطب بما أنه يتغير حسب الأزمنة و الأمزجة و الاشتقاقات و التغيرات و...؛ فلا تثير كلمة «السجن» عند أصحاب الأمزجة المرحة أي دلالة خارجة عن الدلالة المركزية، ولكن عند شخص عانى ويلات السجن و ذاق مرارتها و نكبتها، تثير دلالات ثانوية كالحرمان و المرارة و الغربة و الخفقان و... (أينس، ١٩٨٤، ص ١٠٨).

٣. المعنى الأسلوبي^١: إنّ أي قطعة لغوية تحمل خصائص أسلوبية تتعلق بالظروف الاجتماعية و الجغرافية التي تحيط بالمتكلم و تكشف عن مستواه الاجتماعي و الثقافي.

٤. المعنى النفسي: يساعد علم اللغة النفسي في تحديد بعض الدلالات الفرعية و هي دلالة نفسية ترتبط بما يملكها الفرد من دلالات ذاتية تجاه اللفظ حيث يخلق و يتدع^٢ في أحاديثه معان فردية تكون صدی لحالته النفسية الشعورية.

٥. المعنى الإيحائي: يتعلق هذا المعنى بطائفة من المفردات ذات المقدرة الخاصة على الإيحاء و الإثارة الدلالية و يتبادر إلى الذهن عادة عن طريق التأثيرات الصوتية و النحوية و الدلالية المكونة في اللفظة و كل منها تشير في بعض الأحيان إلى معان فرعية ندركها بالنفس و الوجدان (عبدالمجيد حضر، ٢٠١٠، ص ١١٤).

و أما النظرة التأملية إلى هذه التقسيمات فتسوق الباحث نحو استنتاج جديد بأنّ التقسيمات

1. Style meaning
2. Innovation

فرّق "إردمان" و"بلمر" بين ثلاثة أقسام من المعاني. فقسم إردمان المعنى إلى الأساسي و "التطبيقي" و "الانفعالي" و أما "بلمر" فقد قسمه إلى "الدلالة الوضعية" و "التصويرية" و "البيانية" (بلمر، ١٩٨١، ٧٥ و ٧٦).

يذكر "محمد التونجي" في معجمه المفصل اثني عشر معنى يتداخل بعضها في البعض الآخر، ويمكن تمثيل ذلك في الشكل التالي: (التونجي، ١٩٩٣، ٤٤٣ و ٤٤٤)

معنى التأنيب خلافاً للتحية.

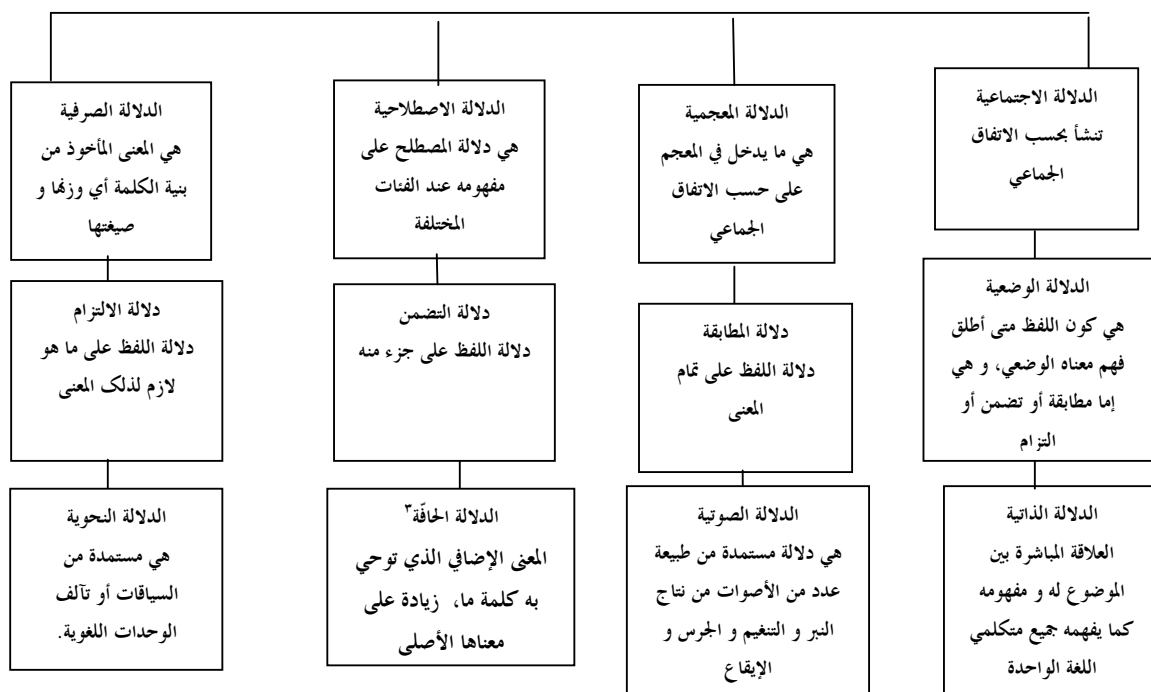
٥. المعنى الانتظامي

٦. الرصفي: يفهم هذان المعنيان في الجملة بترتيب عناصرها.

٧. المعنى الموضوعي: وهو تقرير مدلول النص بناء على كيفية تنظيم الكلمات. (نقلا عن بلال، لاتا، ١٤٥ و ١٤٤)

٨. المعنى الانفعالي^١: و هو يدلّ على عواطف القائل تجاه المخاطب و يعتبرها الباحثون من المواقف النفسية التي يصعب الوقوف عليها في تحليل النص إذ إنها متقلبة تبعاً لذات الإنسان.

٩. المعنى التداولي أو البراغماتي^٢: يخرج النص هنا من معناه الأول إلى دلالات اختارها المتكلم أو المتلقي بالانفعالات الفردية أو الثقافة الخاصة.



1. Emotive meaning .

2. Pragmatics

3. Marginal meaning

والاصطلاح والذاتي والمطابق والمعجمي. والدلالة الهامشية وقد وردت بمصطلحات عدة وهي: المعنى الإضافي أو الضمني والمعنى الانعكاسي والمعنى الانفعالي أو العاطفي والمعنى التداولي أو البراغماتي والمعنى الالتزامي والدلالة الحافّة.

وينبغي التنبه هنا إلى أنّ الدلالات النفسية والإيحائية والأسلوبية والصرفية والصوتية ليس المراد منها تعلّقها بالهامشية من دون المركزية بحيث أنّ هذه الدلالات يمكن أن تشير تارة إلى المعاني الموضوعية على حسب الذهن الجماعي، وتارة أخرى يمكن أن تساهم في توليد الدلالات في الثوب العاطفي الذي لا يؤوله إلا الفهم الخاص والاستنباطات الفردية. إذن نستنتج أنّ هذه الدلالات تشكل "الدوائر الوسطية" التي تتأرجح بين الدالتين المركزية والهامشية.

تجدر الإشارة إلى أنّ تقسيم الدلالة إلى ثلاثة أقسام أو أكثر - على رأي الباحث - تقسيم ضعيف إذ أنّ الدلالات الوسطية لاتتعلق إلا بالجانبين من المعنى تبعاً لنوعية تأويله؛ والقصد منه أنّ الدلالات الإيحائية أو النفسية أو الأسلوبية لها حالتان إما تبقى في نطاق التعابير الفردية أو الاجتماعية المعينة وفي هذه الحالة يطلق عليها الدلالات الهامشية، وإما تصير دلالة مركزية إثر بعض التطورات الدلالية. هنا يجوز لنا أن ندرج الدلالة النفسية والإيحائية والأسلوبية تحت الدلالات الهامشية، حيث يستفاد ذلك من الاستنتاجات الفردية أو التدوقات الخاصة أكثر من الدلالات العامة العرفية.

الدلالة الهامشية عند العرب قديماً و حديثاً

نظر الإنسان منذ القدم إلى بعض الأشياء نظرة إيحائية و رمزية باعتبارها مظهراً من مظاهر الكثر الخفي و سرّاً من

ويقسّمها "فيرث" إلى أربعة أقسام يجعل لبعض منها مصطلحات جديدة وهي:

١. القصد^١: وهو المعاني غير المباشرة التي يكون سبيلها الإيحاء والرمز ويعد التأويل طرفاً ضرورياً في الكشف عن هذه الدلالات المتخفية.
٢. القيمة^٢: يشير هذا القسم إلى الدلالات الوضعية لدى أفراد المجتمع بالاتفاق الجماعي.
٣. المرجع^٣: وهو ما يخترنه ذهن السامع عند استماع الكلام.
٤. العاطفة^٤: وهي مأخوذة من شعور المتكلم نحو المتلقي وبما هو فردي يبيّن العلاقة بينه وبين ظلال من المعاني. (نقلاً عن أولمان، ١٩٧٥، ٢٤)

نعتقد أنّ الاختلاف في الرؤى النظرية يرجع إلى اختلاف في المنهجية الفكرية وهو اختلاف تنوّع لا تضاد، فهناك تزايداً في تبويب الدلالات وتعددتها فحسب. و يمكن أن نستنتج من هذه الأقوال أنّ التقسيمات الدلالية العامة والخاصة تشير إلى الدالتين المركزية والهامشية فحسب؛ والدلالات التي تدور حول الوضع والاستنباطات العقلية فتقع تحت إطار دلالات مركزية يكون قوامها المعجم وأما الدلالات النابعة عن المشاعر النفسية الذاتية وبعض القرائن المقالية والمقامية فتعبر عن الدلالات الهامشية؛ بناء على هذا يمكن تقسيم المصطلحات الدلالية السابقة إلى قسمين كبيرين:

الدلالة المركزية وتدور حول هذه المسميات: المعنى الأساسي والصريح والموضوعي والاجتماعي و

1. Intention
2. Value
3. Referent
4. Emotion

الأسرار يجب كشفه و لا يتحقق هذا الكشف عند عامة الناس بل يتيسر للخواص الذين لهم قدرة على قراءة الأسطر الخفية. و ما يتجلى عند هؤلاء، يسمى بالدلالات الهامشية. قد تجلى هذا المفهوم عند القدماء بمصطلحات أخرى ترتبط بتسمياتها الحديثة، و إن النقاد العرب القدامى سموها بـ "معنى المعنى" أو "المعاني الثواني" أو "المعاني المقتضبة المخترعة" أو "المعاني المجازية"...

وقد أشار "العسكري" إلى ضربين من المعنى قائلاً: ضرب «ما يحتديه [الشاعر] على مثال تقدّم و رسم فرط» (العسكري، لاتا، ٧٠). يعتمد العسكري في وصفه هذا على مبدأ مهم في الدلالة المركزية وهو ثبوت معانيها في أذهان المجتمع، مما جعلها مثلاً معروفاً متكرر الاستعمال كما تشير لفظة "فرط" إلى أنّها تمثل لغة مألوفة تقليدية تناسب ذات الواقع الفكري السائد، ثم يشرح المعنى الهامشي بقوله هذا: «ضرب يبتدعه صاحب الصناعة من غير أن يكون له إمام يقتدي به فيه، أو رسوم قائمة في أمثلة مماثلة يعمل عليها و هذا الضرب ربما يقع عليه عند الخطوب الحادثة، و يتنبّه له عند الأمور النازلة الطارئة»؛ (م.ن) فنرى نوعاً من الإبداع لدى صاحب الأثر، و يحدث هذا الخلق عند الخطوب الحادثة أي عند الثورات النفسية و التأثيرات الانفعالية لدى الفنان بمواجهة الحوادث النازلة حسناً أو قبحاً و يؤدي هذا إلى توليد نصوص أدبية تحمل في طياتها ظلالاً من المعاني تتعلق بالفضاءات النفسية و الاستدعاءات الشخصية؛ بناء على هذا تكون الدلالة الهامشية مسؤولة عن روائع الكلام و خلق تعابير خاصة تشير إلى ما يسميها النقاد "الذوق الخاص" و هذا يقابل "الذوق العام" المرادف للمعنى المركزي. (إحديدي، ٢٠٠٦، ١٤١) و من أمثال العسكري في بيان هذه الدلالة هو قول كثير عزة: (العسكري، لاتا، ٧٠)

ألا ليتنا يا عزّ من غير ريبة
بعيران نرعى في المراعي و نسرْحُ
كلانا به عزّ فمن يرنا يقل
على حسنها جرباء تعدي و أجرب
إن ما تمناه الشاعر لنفسه و لمعشوقه من الإصابة بداء الجرب لا يدلّ على معناه الظاهري بل يراد به المعنى الهامشي الذي يشكّل ظل الفكرة الأصلية و هي إرادة لقاء حبيبته دون صعوبة و خوف فيتحقق لقاء الحبيب بإرادة هذا الأمل و استجابته، أي يتمنى الشاعر أن يكونا (العاشق و المعشوق) كالبعيرين الأجرين لكي يتعد الناس عنهما خوفاً من مرضهما و وقوع هذه الحادثة كمنفذ يحقق به أحلام المحب أي لقاءه مع الحبيب و هذا خلق جديد في الكلام حيث يصور المؤلف كلاماً لا يشير إلى القيم التجريدية العامة في أذهان الجماعة اللغوية بل يشير إلى ما يحيط بالكلمة من ظلال المعنى كالمعاني النفسية و العاطفية التي تمثل قيمتها التعبيرية. (زوين، ١٩٨٦، ٩٢) و يعتقد الباحث أنّ ما يفسر هامشية المعنى في البيتين هو هامشية في التصوير عن موقع اللفظ و الصور الذهنية و موقع الأشياء الخارجية لدى المتكلم و هذا الانزياح من التصوير المألوف سببه مأخوذ من تصور الشاعر نفسه و يقع ضمن الدلالات الهامشية لغرابة ما فيه من التعبير الفردي لحالة الحزن العميق من الفراق الذي يعانيه.

يجعل "العلوي" هذه الدلالة في المرتبة الثانية و يسميها "المعاني المقتضبة المخترعة" كما يقول عنها: «ما يوردونه (من المعاني) من غير مشاهدة حال فيجري عليها ولكن يقتضونه اقتضاباً و يخترعونه اختراعاً» (العلوي، ٢٠٠٠، ١٩٠) و تسمى هذه المعاني، مقتضبة إذ إنّها من خيال الكاتب بدوافع شخصية و هي من غير مشاهدة حال أي لم تكن مألوفة و معروفة قبل اختراعها و النموذج الذي

يقدمه العلوي هو قول ابن الرومي: (ابن الرومي، ٢٠٠٢،
٣٧٤)

لما تؤذن الدنيا به من صروفها

يكون بكاء الطفل ساعة يولد

و أما الدنيا بمصائبها الكثيرة و شقائها المستمر فقد
أثارت للشاعر حالات نفسية ضيقة جعلته يحس إحساساً
مناقضاً لواقعه الاجتماعي المعروف بين الناس؛ إذ أنه يعلل
بكاء الطفل ساعة الولادة بعلّة بعيدة مستحسنة و يعتقد أنّ
بكاءه نابع من معرفته بمصائب الدنيا و أزمتها. (غنيمي
هلال، ١٩٨٢، ٣٥٢) ويرجع الشاعر بهذه الصنعة إلى
اقتناع ذاتي ينم عن إحساسه المهف و يقودنا هذا
الاستخدام إلى القول إن المعاني المأخوذة من صنعة التعليل
بعلة بعيدة عن الحقيقة تعدّ من مشمولات الدلالة الهامشية
إذ إنّها لا تشير إلى الدلالات الصريحة بل يساعد المتلقي
لفهم المعاني الضمنية التي تنبع من الثقافة الفردية أو الخبرات
الشخصية.

فلكي يجسّد لنا الأديب خياله الحر أصبح لزاماً عليه،
خروجه من المدلولات الحرفية إلى الصياغة الخاصة للحالة
الشعورية و هو مايسمى "مخالفة العرف" عند المتقدمين،
فيستوحى فيه الأديب من المعنى العام، معنى آخر لأسباب
نفسية يسمى عند علماء النفس بـ "الاستيحاء النفسي"
كما نرى هذا الوجه من المعنى عند المتنبي: (المتنبي،
الديوان، ٤٧٩)

يفضح الشمس كلما ذرت الشم...سُ بشمسٍ منيرة سوداء
ولا يخفى على المتلقي قوة إنارة الشمس، و لو أنّها
المعروف بلون النار و أما اتصافها بالسواد فلا يخلق إلا من
خيال الشاعر المتحفّز من إحساسه بأنّ نور ممدوحه أقوى
من ضوء الشمس حتى بالغ في ذلك و جعل الشمس سوداء
بالنسبة إلى نور الممدوح و أراد بذلك أيضاً علو شأنه

ومزلتة. إنّ هذه المصاديق الطارئة لدى الأدباء تصح زمن
حدوث الموقف النفسي الخاص الذي ساعد على إبراز تلك
الدلالات الفردية، وهذا ما يعرف في علم النفس الحديث
بـ "الإمباتية"^١ أو "التقمص الوجداني". (ريتشاردز،
٢٠٠٢، ٥٢) و القصد منه الإقرار بوجود الفروق العاطفية
بين الأفراد أمام المشاهد المختلفة و المحاولة لتجسيد الذكاء
الوجداني أو النفسي بصيغة فنية جمالية.

و إذا عدنا إلى كتاب "دلائل الإعجاز" نرى مسّميات
للدلالات، و أما المركزية فتسمّى عنده بـ "المعنى" أو
"المعاني الأولى" و أما الهامشية فتسمّى "معنى المعنى" أو
"المعاني الثواني" كما يقول عنهما: «تعني بالمعنى المفهوم من
ظاهر اللفظ و الذي تصل إليه بغير واسطة و بمعنى المعنى
أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفرض بك ذلك المعنى إلى
معنى آخر». (الجرجاني، ٢٠٠٧، ١٨٢) ثم يقول في
موضع آخر: «الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه
إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده وذلك إذا قصدت أن تحبر
عن "زيد" مثلاً بالخروج على الحقيقة فقلت: "خرج زيد"
و بالانطلاق عن "عمرو" فقلت: "عمرو منطلق" وعلى هذا
القياس؛ وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة
اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه
موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل
الغرض، ومدار هذا الأمر على "الكناية" و "الاستعارة" و
"التمثيل" ... فإنك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي
تعنى من مجرد اللفظ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي
يوجهه ظاهره ثم يعقل السامع مع ذلك المعنى على سبيل
الاستدلال، معنى ثانياً هو غرضك». (الجرجاني، ٢٠٠٧،
١٧٤ و ١٨٤).

نعتقد أنّ معنى المعنى و شواهد المتنوعة، قد يتبادر

البلاغية المختلفة في علم المعاني و البيان و البديع؛ إذ نرى بعض الأحيان في هذه النماذج نوعاً من العدول عن المعنى الأصلي إلى معنى تابع يعد رموزاً إشارية متصلة بالحالة الشعورية، ولكن يتكلم عبدالقاهر- كما يبدو- عن أهم مواضيعها و هي المجاز و الكناية و التمثيل فالكلام هكذا يجعل المجال البلاغي الذي يدور حول السياقات المقامية و الصور البيانية و المحسنات البديعية اللفظية و المعنوية، أفضل حيناً لتناول الدلالات الهامشية حين تثير الدلالات الوجدانية و ما تحمله من إيماءات قائمة على ملكة ذوقية مرهفة في تحليل النص.

و من يتأمل في كتابي الجرجاني يرى تسميات أخرى للدلالات أيضاً؛ فالوصول إلى الدلالة المركزية يتحقق بواسطة الاتفاق الجماعي و هي تعني «الدلالة اللغوية» عنده، و أما الدلالة الثانية فهي «دلالة بلاغية» تفهم من خلال الدلالات اللغوية و هي شرط من شروط جمالية النص، إذ أنها معان متجددة من ظلال الفكر و الخيال؛ فيقودنا هذا البحث إلى عرض اللغتين في المجال الدلالي منذ القدم و هما أسلوبا اللغة العلمية و اللغة الشعرية أي هما اللغة الإحالية و الإيحائية على الترتيب. (سعودي أبوزيد، ٢٠١١، ٣٢ و ٣٣). تشير هذه الأقوال كلها إلى أهمية الدلالات الهامشية في عملية فهم النص و لاشك أنه لو اقتصر الناس على الدلالات المركزية لصارت اللغة صورة كالحة و جامدة فنظهر طرافة المفردات و حيويتها في الدلالات المتولدة من الأذواق الخاصة و الأمزجة الفردية.

يصف القرطاجي الهامشية بـ «مميزة القيم التعبيرية الفردية قاتلاً:» «و الأشياء التي يقال فيها أنها خيرات و شرور أو يتوهم أنها كذلك، منها أمور يشترك في معرفتها و إدراكها الخاصة و الجمهور و منها أمور ينفرد بادراكها و معرفتها الخاصة دون الجمهور و كانت علقه جلّ أغراض

إلى الذهن من خلاله المعاني الهامشية إذا لم تتجاوز إلى ساحة الدلالات العامة أي لم تستعمل المعاني بالاتفاق الجماعي الذي ذهب عنها الأثر الذوقي الخاص؛ إذ يمكن أن يصير كل واحد من الدلالات الهامشية بدوره مركزاً جديداً للإشعاع المعنوي و الدخول في العرف؛ فنرى في أمثلة الجرجاني، أن المفردات المذكورة كـ "كثير الرماد" و "طويل النجاد" و "نؤوم الضحى" و... أصبحت مركزية الإدراك عبر الزمن لكثرة التداول إذ إنَّ المجاوزة عن الحد قد تكون لها نتيجة سلبية حيث تتعرض اللفظ لتفريغ ما فيه من الشحنات الانفعالية فيتعود الناس باستعمالها فتفقد الكلمة نضرتها في معانيها الإضافية و يرتقي اللفظ إلى المركزية في الفهم؛ إذن يمكننا القول إن الدلالات التابعة ليست الدلالات الهامشية على الدوام بل يمكن ورودها بساحة الدلالات المركزية إذا استنبطت من الخبرات المشتركة و يمكن هنا، الاستناد بكلام القرطاجي في هذه القضية بقوله: «إنَّ من المعاني ما يوجد مرتسماً في كل فكر متصوراً في كل خاطر، فالقسم الأول هي المعاني التي قال فيها أنها كثرت و شاعت، و هي مما يتداوله الناس من تشبيه الشجاع بالأسد، و الكرم بالغمام» (القرطاجي، ١٩٦٦، ١٩٢) لكننا نقبل هنا، كلام بعض القائلين من شدة تقارب الدلالة الهامشية بمصطلح معنى المعنى حيث أنَّ الدلالات الهامشية يستمد عادة من المعاني العاطفية و النفسية الفردية لظهوره كما أنَّ الصور البلاغية تشكل كثيراً ما أحد الأساليب التي يصور المؤلف ضمنها آراءه الشخصية و حالاته النفسية الجواله في صدره تجاه الواقع أو يستطيع المتلقي من ورائها خلق التخيل و استقراء مختلف الدلالات الضمنية في الخطاب إلى مستوى التجلي و الإدراك.

و يمكننا القول أن المعاني الثواني ظاهرة تشمل المباحث

"المعاني الثواني" و يوضح الثاني بقوله: «هو الأغراض التي يقصدها المتكلم من جعل الكلام مشتقاً على تلك الخصوصيات من الإشارة إلى المعهود والتعظيم والحصر و دفع الإنكار والشك و محصلها الأغراض التي يورد المتكلم هذه الخصوصيات لأجلها». و يمثل في تبين مراده بهذه الجملة «إنّ زياداً قائم فالمعنى الأول المستفاد من هذه الجملة هو إثبات القيام المؤكد بتأكيد واحد لزيد، و المعنى الثاني هو ردّ إنكار السامع و شكّه». (نقلا عن زوين، ١٩٨٦، ١٥٧ و ١٥٨).

و أما الدلالة الهامشية لدى "محمود السعران" فهو ما يسمى بـ "المضمون النفسي" الذي يقابل "المضمون المنطقي" و هذا جوال في آفاق الذات و النفس و يختلف معطياته الانفعالية من شخص إلى آخر. (السعران، لاتا، ٧٢-٨٠).

الدلالة الهامشية لدى الغربيين

إذا نظرنا في دراسات الغربيين نرى أنّهم يميزون منذ القدم بين المصطلحين في التقسيمات الدلالية و هما «الإحالة»^١ و «الإيحاء»^٢ في معناه غير الفلسفي (يونس، على، ٢٠٠٧، ١٨٢) و الإحالة بمعنى ما تشير إليه الكلمة مباشرة فكلمة الليل تحيل على الوقت الممتد من المغرب إلى الفجر، و في التعبيرات الإيحائية توحى بعلامح نفسية و شعورية غير معيارية خارج مدار المركز و هي الخوف أو الهول أو السهر أو القلق (يونس على، ٢٠٠٤، ٧٩ و ٨٠) فالأول مرادف للدلالة المركزية و الثاني أقرب إلى الدلالة الهامشية أي هي قابلة للتغيير من زمن إلى زمن و من مجتمع إلى آخر. يختص "أولمان" هذه الدلالة، بمعان عاطفية و هي عناصر

الناس و آرائهم بالأشياء التي اشترك الخاصة و الجمهور في اعتقادهم أنّها خير و شر و كان أحق تلك الأشياء بأن يميل الناس إليها أو ينفروا عنها الأشياء التي فطرت النفوس على استلذاها أو التألم منها أو حصل لها ذلك بالإعتياد» (القرطاجني، ١٩٦٦، ١٧٥). قسّم القرطاجني الاعتبارات التي تكون عليها المعاني إلى أربعة معايير أشار من خلالها إلى ما يسميه "المعاني الأول" و "الثواني" : (زوين، ١٩٨٦، ١٤٧ و ١٤٨)

١. بالنظر إلى المعنى الظاهر.
 ٢. ما يقترن بالكلام من معنى آخر بينهما علاقة.
 ٣. الغرض من بيان الكلام.
 ٤. النظر إلى حال الشيء الذي تعلق به القول.
- و يشير المعيار الأول إلى المعاني الأول إذ أنّها تدل على كمال المعنى و تمامه. و يعبر الثاني عن المعاني الثواني أي الدلالات الهامشية و القصد من الغرض و الحال في المعيارين الثالث و الرابع هو عنصر المقام في تحليل النص إذ أنّه يشير إلى الأسباب التي تؤدي إلى توليد الدلالة المركزية و الهامشية في زوايا النص.

و أما أفضل تعريف لدى المحدثين العرب فهو تعريف إبراهيم أنيس حيث عبّر عن الهامشية بقوله: «هي تلك الظلال التي تختلف باختلاف الأفراد و تجاربهم و أمزجتهم و تركيب أجسامهم و ما ورثوه عن آبائهم و أجدادهم فالمتكلم ينطق باللفظة أمام السامع محاولاً بهذا أنّ يوصل إلى ذهن السامع دلالة معينة اكتسبها هذا السامع من تجاربه السابقة... و هي لدى فرد من البيئة الاجتماعية توحى بظلال من الدلالة قد لا تخطر في ذهن آخر من البيئة نفسها لأنّ تجاربها مع الكلمة مختلفة». (أنيس، ١٩٨٤، ١٠٧، ١٧٣)

يورد الأحمد نكري، مصطلحي "المعاني الأول" و

1. Denotation
2. Connotation

مختلفة للنظام اللغوي في معرض التغيير و عدم الثبات؛ (أولمان، ١٩٧٥، ٩٦) إذ أن المعنى العاطفي بوصفه قوة من القوى الخطيرة تثير في النفس انفعالات منفردة بما تمدنا من ظلال معنوية ضمنية. يعلّل أولمان عدم وحدة الدلالات، لاختلاف استعمال الألفاظ و تعبيرها لدى مستخدمي الكلمة، فووقع الكلمات في نماذج معينة من السياقات و الحركات و النبرات^١ و التنغيمات^٢ تعطيلها جواً خاصاً يعبر عن الانفعالات و الرغبات (م.ن، ٩٦).

يشير فنديرس إلى هذه الدلالة و يجسدها كأولمان في معان عاطفية بقوله: إن «كل كلمة أيا كانت توقظ دائماً في الذهن صورة ما بهيجة أو حزينة، رضية أو كريمة، كبيرة أو صغيرة، معجبة أو مضحكة تفعل ذلك مستقلة عن المعنى الذي تعبر عنه و قبل أن يُعرف هذا المعنى في غالب الأحيان». (نقلا عن زوين، ٢٠٠٧، ٩٣) و يصف هذه المعاني في كلام آخر: «تأرجح حول المعنى المنطقي لكل كلمة، جو عاطفي يحيط بها و ينفذ فيها و يعطيها ألواناً مؤقتة على حسب استعمالها و هي التي تكون قيمتها التعبيرية (الأسلوبية)». (حاج الله، لاتا، ٦٤ و ٦٥) فهنا صلة وثيقة للدلالة الهامشية بالمكونات العاطفية و الدوافع النفسية؛ و إذا يعمل المعنى عملاً مثيراً^٣ يؤدي إلى إستجابات نفسية فردية^٤ من قبل المتلقي (لايتر، ١٩٧٦، ٨٩-٨٢) ويستشف للباحث من أقوال فنديرس أنه لحق بنوع من الغلط أو المبالغة باستخدام عبارة «كل كلمة» في التعريفين السابقين إذ إن الدلالة الهامشية تنحصر في كلمات لها ميزة تعددية المعنى^٥ فنرى في هذه التعددية معان

1. Stresses
2. Intonations
3. Stimulus
4. Response
5. Polysignation

تركت أثراً إيجابياً عند المتلقي. و أطلق "جون لايتز" على هذه الدلالة مصطلحات نرى أنها لم تكن بعيداً عن التسميات السابقة كما يقول: هي «المعنى اللاوصفي و يتضمن ما سأشير إليه بالكون المعبر... هناك مصطلحات بديلة معادلة تقريباً و هي (مؤثر) و (موقفي) و (انفعالي) فالمعنى المعبر أي المعنى الذي يعبر المتحدث بموجه عن معتقداته و مواقفه و مشاعره بدلا من أن يصفها». (لايتر، ١٩٨٠، ٣٥)

و أما المعنى الهامشي عند "ليج" فيسمى بـ «المعنى المنعكس» إذ تعكس بعض الكلمات إجماعات تثير الاشمزاز و الشعور بالضيق و هو نوع من التأثير الدلالي يتعلق بالكلمات المجازية أو أي صورة كلامية معبرة (نقلا عن عمر، ١٩٩٨، ٤٠ و ٤١) و إذا دققنا النظر في القرآن الكريم نرى مشاهد من هذا المعنى المنعكس في ألفاظ دالة على ما يחדش الحياء كالتعابير المرتبطة بالكلمات ذات الأبعاد المقدسة أو المعيبة أو المهيبة و هي ما يسمى في لغتنا اليوم بـ«اللامساس» أو «المحظورات اللغوية» أو «التابو»^٦ و يقصد بها: «تجنب ذكر ألفاظ و عبارات لأسباب دينية واجتماعية و نفسية» (زوين، ٢٠٠٠، ١٤).

يستخدم "أولمان" في كلامه مصطلح "الاستدعاء" لتوليد المعاني العاطفية و يرتبط هذا المصطلح بالمعاني الانعكاسية التي طرحها "ليج" كما يقول أولمان عن مفهوم الاستدعاء: «المعنى العاطفي من المصادر التي تثير في النفس إحساسات خاصة بما تمدنا به من ألوان أو ظلال معنوية إضافية، و يتمثل هذا المصدر في قوة الكلمات على الاستدعاء. فلاحظ أن وقوع الكلمات في نماذج معينة من السياقات يكسبها جواً خاصاً و يحيطها بملاسات تعين في الحال على استحضار البيئة التي تنتمي إليها هذه

6. Linguistic taboo

تثير إجابات نفسية فردية ثم يكشف من خلال أجوبته، العلاقات الموجودة بين الكلمات و الدلالات؛ إذ أنّ «النفس تسكن إلى كل ماوافق هواها و تقلق عما يخالفه و لها أحوال تتصرف بها فإذا ورد عليها في حالة من حالاتها مايوافقها اهتزت له و حدثت لها أريحية و طرب، فإذا ورد عليها ما يخالفها قلقت و استوحشت». (العلوي، ١٩٨٥، ٢١)

و أما هذه الأقوال كلّها فتستعرض لنا أهم ميزات الدلالة الهامشية في الأسطر التالية:

١. إنّها تختلف باختلاف أفراد البيئة اللغوية؛ تتمثل هنا بلفظة «اليهودي» فإنّ دلالتها المركزية هو الشخص المنتمي إلى الديانة اليهودية و أما دلالاتها الهامشية فهي تتمثل في الطمع و البخل و المكر كما توحى بالقسوة و البعد عن رحمة الله في الاستعمال القرآني. (يونس على، ٢٠٠٧، ٢٠٠ و ٢٠١)

٢. تدرك هذه الدلالة حسب عناصر دلالية لا ترتبط مباشرة بما تشير إليه الكلمة في الخارج و هي إما عناصر لغوية أو مقالية كالمستويات الصوتية و الصرفية و الترادفات و الاشتراكات و... و إما عناصر غير لغوية أو المقامية كالاستجابات النفسية و التدايعات المعنوية عبر القيم التعبيرية. (أنظر، عون، ٢٠٠٥، ١٢٢-١١٤) كما يتمثل مجموع مكونات المعنى المركزي لكلمة "المرأة" في كونها: إنسان+أنثى+بالغ في حين يعكس القرآن الكريم ما أضفاه المجتمع الجاهلي من دلالات هامشية للمرأة عبر القيم السياقية المقامية كما جاء في القرآن الكريم: [وَإِذَا بُشِّرَ

الكلمات... وما الألوان أو الظلال المعنوية إلا اختلاف استعمال الكلمات وتطبيقها». (أولمان، ١٩٧٥، ١٠٥) فالمعاني الانعكاسية التي ألقاها ليح تشكل من فروع المعاني الاستدعائية التي تضم زوايا نفسية و منطقية تتبلور فيها الدلالات الهامشية و لها فروع أخرى تكون من مسمولات الدلالات الهامشية وهي المعنى الإفصاحي و الأسلوب و النفسي الذي نعرّفه على الشكل التالي: (لايتر، ١٩٨٠، ٧٦)

١. المعنى الإفصاحي^١: الذي يفهم من الشخصية العاطفية التي تصاحب نطق الكلمة.
٢. المعنى الأسلوبي^٢: وهو ما يفهم من البيئة الاجتماعية و الثقافية للاستعمال.
٣. المعنى الإنعكاسي^٣: و هو ما يفهم من صلة اللفظ اللفظ بمعنى آخر يُنسب إليه. فقد يرتبط لفظ (الأم) مضافاً إلى كاف الخطاب بمعنى الشتم عند بعض الناس، و من ثم يستبدلون به لفظ (الوالدة) دفعاً للانعكاس. (حسان، ٢٠٠٠، ٣٨٤ و ٣٨٥)

٤. المعنى النفسي: إن اللغة ظاهرة نفسية إضافة على أنّها ظاهرة إجتماعية ذات وظيفة تواصلية فهذا الأمر يجعل الخطابات اللغوية مجالاً للتعبير النفسية الوجدانية وقد استغلها زعماء مدرسة التحليل النفسي للنفوذ إلى شخصية المتكلم بواسطة مايسميه عندهم بـ «التداعي الحر»^٤ حيث يطرح المحلل النفسي على المخاطب أسئلة دقيقة

1. Associative
2. Affective
3. Stylistic
4. Reflected
5. freeassociation

أَحَدُهُمْ بِالْأَنْثَى ظَلَّ وَجْهَهُ مُسَوِّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ
يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمَسِكُهُ
عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا
يَحْكُمُونَ [النحل: ٥٨-٥٩] و أما الدلالات
الهامشية فقد تبلورت عندهم ضمن الظروف
الاجتماعية والخبرات الفردية و الوراثة و
مشاعرهم التشاؤمية بالنسبة للمرأة و قد تمثلت
في: العار والفقر والأناية وسوء الحظ فضلاً عن
معناها المركزي.

٣. تتصل هذه الدلالة بوظيفة التأثير والإقناع^١.

تجليات الدلالات الهامشية في إطار النظرية السياقية

تستقى الدلالات الهامشية مفهومها ضمن العلاقات المعنوية
بين الكلمات بكل ما يحيط بها من القرائن المقالية (الصوت
و الاشتقاق ...) و المقامية (الثقافة و الخبرة ...) و هذا
ما يسمى بقضية «السياق». و أما الأنماط السياقية فتعطي
الكلمة معنى محددًا مؤقتًا يقدر «قيمتها الحضورية». (زوين،
١٩٩٠، ٨٠) و الجدير بالذكر أن البنات السياقية لا ترتبط
بالدلالات الهامشية فحسب بل إنها إطار عام تنتظم فيها
مكونات النص لؤدي إلى مجموعة المعاني التي يتطلبها
المتكلم من توليد جمل تحتوي على المعاني الموضوعية و
العاطفية فهي التي يساعد المتلقي على إدراك التبادل بين
المعاني المركزية الموضوعية و المعاني الهامشية الانفعالية.
(أولمان، ١٩٧٥، ٧١)

يقسم علماء الدلالة المحدثون، السياق إلى أربعة أقسام:

١. السياق اللغوي^٢.

٢. السياق العاطفي^٣.

٣. السياق المقامي^٤.

٤. السياق الثقافي^٥.

إن فكرة المقام تمثل مركز الدلالات الوظيفية من حيث
إبراز مختلف الجوانب التي تظهر فيها الأحداث اللغوية و قد
أشار العرب قديماً إلى هذا السياق و غدت فكرتهم (لكل
مقام مقال) مثلاً سائراً، و يتطلب السياق المذكور معرفة
الظروف المحيطة بالموقف الكلامي كالموقف الاجتماعي
للمتحدث زماناً و مكاناً و العلاقة بين المتحدثين و القيم
المشتركة بينهما ثم يفرض على السياق اللغوي «أسلوب
خاص» تعدل المفردة به عن المعنى المعجمي المستهلك و
تشير إلى دلالات جديدة فيها مناح مبتكرة و لاسيما
المنحى النفسي و العاطفي كما تتبلور في نتاجات الأدباء و
الشعراء ذوي المخيلات الشخصية. (جواب الله، لاتا، ٦٢
و ٦٣).

و الجدير بالذكر أن السمات الأسلوبية كلها لا تدخل
ضمن الدلالات الهامشية بل يمكن فهمها بالمعاني المركزية
باختيار أسلوب شعبي عام بما فيه من الألفاظ السهلة و
المختصرة تدل على اشتراك الجميع في فهمها؛ كما ذكر
"أولمان" بقوله: «الأسلوب يتضمن فكرة اختيار الأنسب من
بين طرائق التعبير الممكنة التي تضعها اللغة بين يدي الكاتب
أو المتكلم و إذا كان الاختيار من بين المترادفات المتحدة
المعنى الموضوعي، فهذا الاختيار بوجه خاص هو الذي
يظهر مهارة الكاتب أو المتكلم وقدرته على تناول الظلال
والألوان العاطفية والجمالية لهذا المعنى». (أولمان، ١٩٧٥،
٩٤)

و أما السياق العاطفي فيتولّى الكشف عن المعنى

3. Emotional context

4. Context of situation

5. Cultural context

1. Impact

2. Verbal context

المشتركات الثانوية (معنى سياقي وقيمة تعبيرية وقيمة اجتماعية) تنزلق تدريجياً إلى المعنى الأساسي و تحل محله فيتطور المعنى». (غيرو، ١٩٨٨، ٩٩)

نتائج البحث

في نهاية هذا المقال نتوصل إلى النتائج التالية:

١. إن الدلالة الهامشية هي القسم الثاني من الدالتين ضمن التقسيمات الدلالية العامة قديماً و حديثاً؛ فالنظام اللغوي له القدرة على التعبير عن المعاني المركزية النابعة عن الاتفاق الجماعي في مقام الوضع أولاً، ثم له طاقات تتصف بالشحنات الهامشية الناتجة عن الخبرات النفسية الفردية في مقام التخاطب.

٢. اختلف الباحثون حول الدلالة الهامشية ضمن التقسيمات الخاصة و منهم من حصروا الدلالة في أقسام ثلاثة أو خمسة أو أكثر ولكن يمكن أن نستنتج من هذه التنوعات أن المعاني تدور حول الدالتين المركزية و الهامشية؛ و أما الدلالة الأولى فتدور حول هذه المسميات: المعنى الأساسي أو المفهومي أو الصريح أو الموضوعي أو الاجتماعي أو الاصطلاحي أو المطابقي أو المعجمي، و أما الدلالة الهامشية فتحتوي على أقسام من الدلالات الأخر تتصف كلها بالنفسية و العاطفة الفردية كالمعنى الضمني أو الانعكاسي أو الانفعالي أو البراغماتي أو الالتزامي أو الإيجائي أو الحافة.

٣. إن الدلالة الهامشية ليست دلالة مستحدثة بل بحث عنها علماء اللغة القدامى في أقسام العلوم و خاصة علم البلاغة بمصطلحات مألوقة بينهم كـ "المعاني الثواني" و "معنى المعنى" و "المعنى التابعي" و...

٤. و أما الدلالة الهامشية فقد وردت في الألسنية الحديثة

الوجداني و درجة الانفعال في الوحدة اللغوية و هو يختلف في الدلالات الهامشية باختلاف الأفراد على الرغم من اشتراكه في الدلالة المركزية؛ كما تشترك كلمتا "يبغض" و "يكره" في أصل المعنى ولكن يختلفان في دلالتهما الهامشية المرتبطة ببؤرة نفسية للفرد و السياق المشحون بالعاطفة. (بوزوادة، ٢٠٠٨، ١١٣ و ١١٤) و هذا ما سمّاه القرطاجني بـ "الجهة النبوية" التي تعود إلى نسبة معنى إلى معنى و تلفتنا إلى قدرة الكاتب البارع على إيقاع التناسب بين العناصر إذ أنّ «للفوس في تقارن التماثلات و المتشابهات و المتضادات و ماجرى مجراها تحريكاً و إيلاءً بالانفعال إلى مقتضى الكلام». (القرطاجني، ١٩٦٦، ٤٤ و ٤٥) و نرى في التعريف عن السياق المقالي بأنه «البنية اللغوية التي تحيط بصوت أو فونيم أو مورفيم أو كلمة أو عبارة أو جملة». (الخولي، ١٩٩١، ١٥٦) فهو حصيلة استعمال الكلمة في بيئة خاصة كاستخدامها بالتنغيمات و التقابلات و المشتركات اللفظية... التي تكون كافية لشحن المفردات بالكثير من المعاني العاطفية فضلاً عن المعاني المركزية.

لعلّ هذه الملاحظات السياقية قد مهّدت الطريق لإقرار الباحث بصحة كلام "بيار غيرو" في موضوع صلة القيم السياقية بالدلالات الهامشية إذ يحدث الخروج عن مركز الدوائر الدلالية بأمر مختلف كالسياق العاطفي و الثقافي و اللغوي و إذا دققنا في كلامه نرى أنه يعبر عن السياقات العاطفية و الأسلوبية بمصطلح "قيم تعبيرية" كما يعبر عن السياق الاجتماعي و المفهوم الثقافي بمصطلح "قيم اجتماعية" في البحث عن انزلاق المعنى الهامشي إلى محلّ المعنى المركزي كما يشرح ذلك بقوله: «يتغير المعنى لأننا نعطي اسماً عن عمد لمفهوم ما من أجل غايات إدراكية أو تعبيرية، إنّنا نسّمّي الأشياء و يتغير المعنى لأن إحدى

عبدالحليم المشطة، كلية الآداب، الجامعة
المستنصرية.

[٦] بوزوادة، حبيب (٢٠٠٨)، علم الدلالة، الجزائر،
منشورات مصطفى اسطنبولي.

[٧] التونجي، محمد (١٩٩٣)، المعجم المفصل في الأدب،
بيروت، دارالكتب العلمية.

[٨] الخولي، محمد علي (١٩٩١)، معجم علم اللغة
النظري، بيروت، مكتبة لبنان.

[٩] جاب الله، أسامة عبدالعزيز (لاتا)، السياق في
الدراسات البلاغية و الأصولية، جامعة كفر الشيخ.

[١٠] جبل، عبدالكريم (١٩٩٧)، علم الدلالة، جامعة
طنطا، كلية الآداب.

[١١] الجرجاني، عبدالقاهر (٢٠٠٧)، دلائل الإعجاز في
علم المعاني، تقديم: ياسين الأيوبي، بيروت، المكتبة
العصرية.

[١٢] الجوزية، ابن القيم (١٩٥٥)، إعلام الموقعين عن
رب العالمين، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد،
مصر، المكتبة التجارية.

[١٣] حسان، تمام (٢٠٠٠)، الأصول، دراسة
ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، القاهرة،
عالم الكتب.

[١٤] خضير خلف، صيوان (٢٠١١)، أثر السياق في
تحديد دلالة (علم) في القرآن الكريم، مجلة آداب
ذي قار، العدد ٤.

[١٥] ريتشاردز، آ.ي (٢٠٠٢)، مبادئ النقد الأدبي،
ترجمة: إبراهيم الشهابي، الأردن، منشورات وزارة
الثقافة.

[١٦] زاهدي، الحسين (١٦ / ٠٤ / ٢٠١٠)، «التعارف
و التواصل و البحث عن المعنى»، طنجة الأدبية،

مصطلحات آتية كـ "الدلالة الإيجائية" أو
"الانعكاسية" أو "الانفعالية" أو "الحافة" أو "ظلال-
المعنى" أو "القيم السلوكية" أو "العاطفة الشخصية" و
تدل كلها بتسمياتها المختلفة على أنّ في النص معنى
آخر يلوح خلف المعنى الظاهر.

٥. تستمد المفردة دلالاتها الهامشية من
العنصرين: ١. السياقات الداخلية أي كل ما يتعلق
بالقارئ المقالة التي تخرج عن إطار المعجم و تنبع من
الأذواق الخاصة و التجارب الشخصية كـ بعض
المستويات الصوتية و الصرفية و القيم التعبيرية الفنية
كالحجرات و الاستعارات و التمثيلات و... السياقات
الخارجية المقامية كالمكانية و القيم التعبيرية النفسية
للمتكلم و المتلقي و درجة ثقافتها و تفرض كلها
على السياق اللغوي «أسلوباً خاصاً» ينبع من الذوق
الخاص، و تعدل المفردة به عن المعنى المعجمي
المستهلك و تشير إلى دلالات جديدة فيها مناح
عاطفية مبتكرة.

المصادر و المراجع

[١] ابن الرومي (٢٠٠٢)، الديوان، شرح أحمد حسن
بسج، دار الكتب العلمية، لبنان، ط ٣.

[٢] إحديد، محمد سعيد و علي حسن، مزبان، (٢٠٠٦)،
في اللسانيات، لبي، دارالشموع.

[٣] أنيس، إبراهيم (١٩٨٤)، دلالة الألفاظ، القاهرة،
مكتبة الأنجلو.

[٤] أولمان، استيفن (١٩٧٥)، دور الكلمة في اللغة،
ترجمة: كمال محمد بشر، لامك، مكتبة الشباب.

[٥] بالمر، اف، (١٩٨١)، علم الدلالة، مترجم مجيد

- منتدى الثقافة.
- [١٧] _____ (١٩٨٦)، منهج البحث اللغوي بين التراث و علم اللغة الحديث، بغداد، دار الشؤون.
- [١٨] السعران، محمود (لاتا)، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، بيروت، دار النهضة العربية.
- [١٩] سعودي أبو زيد، نواري (٢٠١١)، محاضرات في علم الدلالة، الأردن، عالم الكتب الحديث.
- [٢٠] الشاطبي، أبو إسحاق (٢٠٠٣)، الموافقات، الرياض، دار ابن القيم.
- [٢١] عبد المجيد خضر، مصطفى (٢٠١٠)، الألفاظ و الدلالة في بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي، تقديم: طاهر سليمان حمودة، الإسكندرية، مؤسسة حورس.
- [٢٢] العسكري، أبو هلال (لاتا)، الصناعتين، تحقيق: البجاوي علي محمد، التراث.
- [٢٣] العلوي، ابن طباطبا (١٩٨٥)، عيار الشعر، تحقيق عبدالعزيز مانع، الرياض، دار العلوم.
- [٢٤] العلوي، يحيى بن الحمزة (٢٠٠٠)، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز، تحقيق عبد الجبور الهنداوي، لامك.
- [٢٥] عمر، أحمد مختار (١٩٩٨)، علم الدلالة، القاهرة، دار العروبة.
- [٢٦] عون، نسيم (٢٠٠٥)، الألسنية محاضرات في علم الدلالة، بيروت، دار الفارابي.
- [٢٧] غيرو، بيار (١٩٨٨)، علم الدلالة، ترجمة منذر عياشي، دار طلاس، دمشق.
- [٢٨] غنيمي هلال، محمد (١٩٨٢)، المدخل إلى النقد الأدبي الحديث، بيروت، دار العودة.
- [٢٩] القرطاجني، أبو الحسن حازم (١٩٦٦)، منهاج البلاغة وسراج الأدباء، تقديم محمد حبيب بن الخوجة، لامك، دار الغرب الإسلامي.
- [٣٠] لايتز، جان (١٩٧٦)، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة: عباس صادق الوهاب و يوسف عزيز، يوثيل، بغداد، دار الشؤون.
- [٣١] _____ (١٩٨٠)، علم الدلالة، ترجمة عدة مترجمين، كلية الآداب، جامعة البصرة.
- [٣٢] الموصلبي، ابن الأثير (١٩٣٩)، المثل السائر في أدب الكتاب و الشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة.
- [٣٣] يونس علي، محمد محمد (٢٠٠٤)، مقدمة في علمي الدلالة و التخاطب، بيروت، دار الكتاب.
- [٣٤] _____ (٢٠٠٧)، المعنى و ظلال المعنى، بيروت، دار المدار الإسلامي.
- المجلات و الرسائل الجامعية**
- [٣٥] بلال، ضحى (لاتا)، معنى المعنى في النقد الأدبي بين المبدع و المتلقي (رسالة دكتوراه)، بغداد، جامعة تشرين.
- [٣٦] زوين، علي (٢٠٠٠)، «اللامساس في العربية (بحث في ضوء علم اللغة الحديث)»، مجلة آفاق عربية، السنة الأولى، العدد الأول، جمادي الثانية - شوال.
- [٣٧] _____ (١٩٩٠)، «ظلال المعنى بين الدراسات التراثية و علم اللغة الحديث»، مجلة آفاق عربية، آيار، السنة الخامسة عشرة.
- [٣٨] عبد الرحيم، محمد (١٤٠٩)، «أزمة المصطلح في النقد القصصي»، مجمع اللغة العربية، مصر، العدد ٦٣، ربيع الأول.
- [٣٩] قديدح، الحاج (٢٠٠٤)، معلة عمرو بن كثوم (رسالة ماجستير)، قسطنطينيا، جامعة منتوري.

معانی حاشیه‌ای در پژوهش‌های کهن و زبان‌شناسی نوین

محمد هادی مرادی^۱، سیده فاطمه سلیمی^۲

تاریخ دریافت: ۱۳۹۱/۸/۲

تاریخ پذیرش: ۱۳۹۱/۱۲/۲۸

پژوهش‌های معناشناختی بر این باور است که کلمات از معانی مشترک وضعی شکل می‌گیرند که هدف آن، اطلاع‌رسانی و تبادل اندیشه است سپس این کلمات در سیر تحولات معنایی، معانی عاطفی فردی را ایجاد می‌نمایند تا نقش اثرگذاری و بلاغی زبان شکل گیرد. اگر معانی را مجموعه‌ای از شبکه‌های شعاعی بدانیم، این مجموعه از یک مرکز و خطوط حاشیه‌ای تشکیل می‌گردد؛ مرکز دایره، معانی ثابت وضعی را در بر می‌گیرد و خطوط جانبی متشکل از سایه‌ی معناها، معانی فرعی را به وجود می‌آورد. این معنا، زائیده‌ی ارزش‌های عاطفی و عناصر بافت‌بنیان در موقعیتی کاربردگرا است. معانی حاشیه‌ای، ابتکار نوینی به شمار نمی‌رود بلکه در پژوهش‌های کهن فقهی، اصولی، و به ویژه بلاغی با نام‌هایی همچون «معنای معنا»، «معنای دوم»، «پیرو» و «ضمنی» وارد شده است و تمامی این اصطلاحات مترادف مصطلحات امروزی همچون هامشی، ایحائی، انعکاسی و حاشیه‌ای می‌باشد. در این مقاله سعی بر آن است تا مسائل نظری دو دوره مورد واکاوی قرار گیرد: ابتدا به شناخت معانی ثانوی در تقسیم‌بندی‌های کهن و معاصر پرداخته سپس نتایجی از آن ارائه می‌گردد. مسأله قابل تأمل آنکه در مباحث نظری، تضاد به چشم نمی‌خورد، بلکه تنها نوعی اختلاف سلیقه وجود دارد که به خاطر گرایش‌های فکری متفاوت است. تمامی پژوهشگران در بیان ویژگی‌های بنیادین معانی فرعی با هم اتفاق نظر دارند که می‌توان به مواردی اشاره نمود: ارتباط معانی فرعی با عناصر عاطفی، تبلور آن از طریق سیاق زبانی و مقامی و نقش آن در وظیفه اثربخشی. روش کاربردی در این مقاله، توصیفی-تحلیلی است که با استناد به منابع علمی ارائه شده است.

کلید واژگان: معانی حاشیه‌ای، (ثانوی)، عاطفه، دلالت إلقائی، قدرت تداعی، سیاق.

hadim29@gmail.com

Fatemeh_salimi625@yahoo.com

۱. استادیار، گروه زبان و ادبیات عرب، دانشگاه علامه طباطبایی.

۲. دانشجوی دکتر، زبان و ادبیات عرب، دانشگاه علامه طباطبایی.

Peripheral Meanings in Ancient Researches and Contemporary Linguistic

mohammad hadi moradi¹, seyedeh fatemeh salami²

Received: 2012/10/23

Accepted: 2013/3/18

Abstract

According to semantic researches, words be formed with common conventional meanings and its aim is information and exchange of ideas. Then, by passing of time, these words with semantic changes create the emotional meaning inspired from individual imagination until, the impression and eloquence function is formed. If we consider meanings a complex circular structure, this collection is formed from a center and border line. The center of circle is fixed conventional meanings and the sidelines, which include connotation, create the peripheral meaning. These meanings are created with emotional forces and context values in a pragmatic situation. The concepts of the peripheral meaning is not a new inventions and perhaps this issue interred to the ancient studies of the Jurisprudence, Methodology and Rhetoric with a different names like sense of meaning and secondary meaning or follow-up meaning and these idiom are synonyms with today's expressions like peripheral, emotional, reflected and marginal. In this article, an attempt is made to illustrate the theoretical issues of two periods: we recognize the peripheral meaning among the ancient and contemporary categories then results stated. It should be noted that we could not see any conflict in this theoretical study. Perhaps, there is a form of disagreement that is visible due to different idioms used by researchers. Researchers are agreed to illustrate the common characteristics of peripheral meaning, like the relationship of the peripheral meaning with emotional elements, the manifestation of this meaning on the verbal context and context of situation and its role in the impression. The practical method in this article is descriptive-analytical by using scientific references.

Keywords: Marginal Meaning; Emotion; Associative Force; Context

1. Associate professor, allamah tabatabai university of Tehran.

hadim29@gmail.com

2. Phd student, allamah tabatabai university

Fatemeh_salimi625@ yahoo.com